الإنعكاسات النفسية والإجتماعية والمادية لإنحراف الطفل

معمر داود*

Résumé

Dans cet article nous tenterons d'aborder le thème relatif au phénomène de la délinquance juvénile

Ses notions et caractéristique psyco-sociologiques.

Notre effort se concentrera sur l'influence de plusieurs facteurs : La famille,l'école ,et la culture dominante dans la acrotère ainsi que le rôle de la religion. Dans le développement mental et psychique de l'enfant.

Cette étude tente de répondre aux différentes formes de délinquance qui se rapportent aux maladies psychiques, à l'alcoolisme et au crime.

Pour permettre aux décideurs de contribuer a résoudre les contraints que aubissent les délinquants.

مقـــدمـــــة

إذا كان لزاما على أمم وشعوب العالم العربي والجزائر جزء منـــها أن تتطور وتتقدم ، فإن اعتمادها سيكون على سواعد أبنائـــها هـؤلاء الصغار الذين سيصبحون فيما بعد أحسن خلف لخير سلف ، وعليـــهم حمل عبء هذه الأمة في مسارها التنموي. ومن هنا فهم في حاجـــة إلى اهتمام ورعاية كبيرين لمواجهة التحديات التي تفرض عليهم مـــن أمم عصرهم وهذا بالعناية بهم وتجاوز الأزمات المحدقة بهم في مجـــالات شـتى

بالاعتماد على العلم مشحونا بالعمل والدين ومدعما بالأخلاق الكريمة والفاضلة.

ولا شك أن فشل أمتنا يعود لظروف معينة خصوصا الاستعمارية منها فإنها تتحمل قسطا من هذا الفشل ، وبتأثر شعوب هذه الأمة المادي فإنهم تأخروا ثقافيا وفكريا رغم الموروث الحضاري الذي يمتلكونه ، و لم يستغلوه أيما استغلال ، وأصبحوا مشلولين إذ لا تقدم ورثوا من هذا العالم ولا فكر ولا ثقافة، بل هم قوم تبع في كل الأحوال ، مما أثر على شخصيتهم وأخلاقهم ، فانعكس ذلك سلبا عليهم فتأخروا اقتصاديا واجتماعيا إضافة إلى أسباب الانحراف الموروثة أو المكتسبة.

ومن هنا يمكننا الولوج إلى موضوع من الأهمية بمكان يشغل الباحثين والمفكرين في مجتمعاتنا ، على اختلاف تخصصاتهم من علماء النفس وعلماء الاجتماع والأطباء والقانونيون وغيرهم وهو الانحراف ، كيف تستطيع هذه الأمم مواجهته ؟ وما أسبابه وانعكاساته على الأجيال ؟ وكيف يمكننا تجاوزه ، أو على الأقل التخفيف من حدته.

وقبل التعمق في ذلك تجدر الإشارة إلى تحديد بعض المفاهيم أهمها :

مفاهيم أولية

يمكن التعرض لبعض المفاهيم التي لها علاقة بالموضوع وأهمها مايلي:

أ- مفهـــوم الانـــحراف

وهو الجنوح وهو ترجمـــة لكلمـــة DELINQUACE بالفرنســـية ويتضمن السلوك الذي لا يتماشى والمعايـــير المقـــررة داخـــل النســـق الاجتماعي. ويرى "جونسون" أن الإنحراف يظهر حينما يتجاوز الفـــرد حدود المعايير الاجتماعية التي تمثل جزءا من شخصية المجتمع ، والمعايـــير جزءا من الدوافع التي توجه أعضاء الجماعة الإنسانية ، ولا يشعر الفـــرد بها إلا حين يتجاوزها بسلوكه العدواني الإجتماعي[1].

أ- نـــواع الانحـــراف : قد يكون نفسيا واجتماعيا

- الانحراف النفسي

يعني سلوكا يتميز بالعدوان والتعدي على الآخرين ، وهذا يكـــون مضادا للمجتمع ، ويميل إلى تهديم الأشياء.

- الانحراف الاجتماعي

فهو الذي يمثل في حد ذاته خروجا على أنماط معينة ، ويعني بعض العلماء بأنه سلوك محرم اجتماعيا[2].

ب- مفهوم الحرمان PRIVATION

ويعني به فقدان شيء تحتاجه العضوية من مثل حرمـــان الحيـــوان الجائع من الطعام والحيوان العاطش من الماء- ويكـــون الحرمـــان اجتماعيا ونفسيا وعاطفيا الخ....

ج- مفهوم الانحلال DEGENERESCECE

وهو حالة تتصف بانحراف كبير جدا في السلوك عن معايير المجتمع الذي ربي فيه الفرد ، وقد يكون الانحراف ولاديا أو مكتسبا[3].

د- إجرام الأحداث

وهو اصطلاح قانوني حيث الطفل يصبح مجرما حدثا إذا أوقعه سلوكه تحت طائلة القانون ، وهو يختلف عن الطفل الخطر لأنه حكمت عليه المحكمة[4].

بعد عرض هذه المفاهيم يتطلب الأمر منا ربطها بنمو الطفل وتربيته ومن ثم توجيهه ومراعاة متطلباته ، ولهذا النمو علاقة بالبيئة والدين.

أثر البيئة والدين في نمو الطفل

ينشأ الطفل نشأة سوية أخلاقيا وفكريا وصحيا نتيجة لعوامل متعددة أهمها جو الأسرة التي يعيش فيها ، والمجتمع الخارجي الذي يحيط به ، وبوجه خاص المدرسة التي ينتمي إليها ويتعلم فيها، بالإضافة إلى نموه الوجداني وعلاقة الدين بنموه العقلي والاجتماعي والأخلاقي ، وسوف نعرض ذلك فيما يلي:

أ- البيئة المادية

وهي الوسط الذي ينمو فيه الجنين ثم الوسط الذي يعيش فيه الفرد فيما بعد ، وهو مادي من مناخ وحرارة وبرودة الخ... وهذه كلها لها أثر على الطفل لأن نموه الفسيولوجي يتطلب ويعتمد على ما يحيط به من بيئة مادية ، ولذلك فإن احتياجاته ودوافعه قد تجد ما يشبعها لكي ينمو نموا صحيحا ليصل إلى مستواه الطبيعي.

في المجتمع الذي يعيش فيه ، والفرد يتشكل منها وهو ما نسميه تنشـــئة اجتماعية ، يضاف إلى هذه العناصر عنصر التغذية لأنه يساهم في تكويـن الطفل جسميا وحركيا خلال دور الحياة عامة.[5]

أما عن نموه الوجداني الذي يعد النواة المركزية التي يلتئم حولهـــا الأنا إذ أن الطفل في هذه المرحلة يبحث عن شـــحنة وجدانيـــة تؤكـــد استقلاله الذاتي ، وتتضح أكثر عندما يصبح مراهقا ، وما دمنـــا نتبـــع العوامل المساهمة في نمو الأنا فإنه من الضروري إتبـــاع نمـــو القـــدرات الوجدانية ، وقد درس كل من بريد جز وقـــالود هـــيرودوك ، هـــذا الموضوع ومفاد دراستهم أن السلوك الانفعالي ينطبق عليه ما ينطبق علـى الحياة النفسية من نمو وارتقاء ، فمثلا انفعال الخوف يبدأ عنـــد الطفـــل عموما كحالة الذعر ، لا كالخوف لدى الراشدين ولكن تبدأ التعديـلات التي تدخل على الانفعالات في النمو وهذا كما يلي :

– انفعالات الأطفال سريعة عابرة ويزداد عمقا نتيجة فهم الموقـــف.

– انفعالات الأطفال شديدة انفجارية وبتدخل الوسائل التربوية تنخفض شدتها.

– انفعالات الأطفال كثيرة فهم ينفعلون مع أي موقف ولكن بـــالتعلم يستجيبون للمواقف استجابات غير انفعالية.

– المظاهر السلوكية للطفل للكشف بسهولة عن حالته الانفعالية وعلـى العكس لدى الراشدين الذين يمكنهم إخفاء انفعالاتهم بينما نجد انفعالات الأطفال واضحة.[6]

كما أن للدين أثر في نمو الطفل إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "كل مولود يولد على الفطرة" فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه". لأن في هذه المرحلة يبدأ الطفل في طرح أسئلة عن بعض المفاهيم الدينية فمنها سؤال يتضمن من هو الله ؟ وأين هو ؟ ولماذا لا نراه ؟ ومن هم الأنبياء ؟ وما هو الدين ؟ ولماذا نصلي ؟ الخ...

ونحن ربما نجيبهم إجابات تتماشى وسنهم ومستوى فهمهم ، وللتلقين هنا دور هام في تكوين هذه الأفكار الدينية الخاصة بالطفل ، ليتشبع بها وتصبح أفكاره ، حينها يمكنه المحافظة عليها والدفاع عنها وتحدد هي سلوكه في آن واحد.

والأولياء والمربون والمعلمون مسؤولون عن ذلك المسؤولية التامة ، ويعتمد ذلك على سمات عامة لهذا النمو الديني كما يلي :

– **الواقعية**: وفيها يضفي الطفل على موضوعات الدين وجودا محسوسا واقعيا.

– **الشكلية** : أن الدين في هذه المرحلة لفظي حركي يتمثل في أداء طقوس معينة مسايرة للمجتمع.

– النفعية : أي أن أداء الفروض مثلا هدفها هو تحقيق منفعة كالحصول على لعبة ، أو النجاح في الامتحان الخ...

–**العنصر الاجتماعي** : ويتمثل في تأثر الفرد بالبيئة الاجتماعية التي يتربى فيها من حيث كون بيئته متدينة ، نشأة اجتماعيا على ما تربى عليه وتطبع بذلك، إذ أن الدين بذلك يصبح وسيلة من وسائل التوافق الاجتماعي.[7]

إضافة إلى سمات النمو الديني التي ذكرها آنفا نجد أن لـــه أيضـا علاقة بالنمو العقلي إذ يتأثر الشعور الديني بالتفكير والتمثل ، وهـــذا في مرحلة متأخرة من النمو ، ويزيد في التكوين العقلي فكـــرة الله والخلـــق والطبيعة والعالم...

أما بالنسبة للدين والنمو الاجتماعي فالطفل يحاول أن يربط بـــين العالم والله في آن واحد إذ أن الله هو إله الناس جميعا وهـــم مجتمعـــون يجمعهم الدين ، ومن هنا يتغلب على مشكلات الحياة هذا التوجه الديـني السليم - وربما قد يحدث العكس لأسباب أخرى - أمـــا عـــن الديـــن والأخلاق فإن للنمو الخلقي دور كبير لإقتدائه بالقيم ونمـــو الضمـــير ، ولعملية التنشئة الاجتماعية دور مهم ، وهذا نتيجة لما تعلمه الطفـــل ، في البيت والمدرسة من معايير اجتماعية ، ومن حقوق وواجبـــات ، وهنـــا تتدخل سلوكات الوالدين والمربـــين كنمـــاذج يتبعـــها الأطفـــال في سلوكاتهم[8] وبالتالي فإن هذه السمات والعوامل بتأثيرها وتأثرها تنصـب على قيام الأطفال بسلوكات معينة تفرز لنا انعكاساتها التي تكون إيجابيـة أو سلبية ، على الرغم من أن الإحاطة بالموضوع هي طـــرح العنـــاصر السلبية ، لأن دراسة الموضوع بهذه الصورة يعد ظاهرة اجتماعية ولهـــا انعكاساتها النفسية والاجتماعية والمادية وحتى الثقافيـــة وغيرهـــا في آن واحد.

الانعكاسات النفسية والاجتماعيـــة

يختلف الأطفال باختلاف المؤثرات التي يتعرضون لها ، فـــإذا مـــا توفر لهم جو هادئ ملؤه الحب والحنان والطمأنينة ، فإن نتيجـــة ذلـــك

إضافة إلى سمات النمو الديني التي ذكرتها آنفا نجد أن لـــه أيضـا علاقة بالنمو العقلي إذ يتأثر الشعور الديني بالتفكير والتمثل ، وهـــذا في مرحلة متأخرة من النمو ، ويزيد في التكوين العقلي فكـــرة الله والخلـــق والطبيعة والعالم...

أما بالنسبة للدين والنمو الاجتماعي فالطفل يحاول أن يربط بـــين العالم والله في آن واحد إذ أن الله هو إله الناس جميعا وهـــم مجتمعـــون يجمعهم الدين ، ومن هنا يتغلب على مشكلات الحياة هذا التوجه الديـني السليم – وربما قد يحدث العكس لأسباب أخرى – أمـــا عـــن الديـــن والأخلاق فإن للنمو الخلقي دور كبير لإقتدائه بالقيم ونمـــو الضمـــير ، ولعملية التنشئة الاجتماعية دور مهم ، وهذا نتيجة لما تعلمه الطفـــل ، في البيت والمدرسة من معايير اجتماعية ، ومن حقوق وواجبـــات ، وهنـــا تتدخل سلوكات الوالدين والمربـــين كنمـــاذج يتبعـــها الأطفـــال في سلوكاتهم[8] وبالتالي فإن هذه السمات والعوامل بتأثيرها وتأثرها تنصـب على قيام الأطفال بسلوكات معينة تفرز لنا انعكاساتها التي تكون إيجابيـة أو سلبية ، على الرغم من أن الإحاطة بالموضوع هي طـــرح العنـــاصر السلبية ، لأن دراسة الموضوع بهذه الصورة يعد ظاهرة اجتماعية ولهـــا انعكاساتها النفسية والاجتماعية والمادية وحتى الثقافيـــة وغيرهـــا في آن واحد.

الانعكاسات النفسية والاجتماعيـــة

يختلف الأطفال باختلاف المؤثرات التي يتعرضون لها ، فـــإذا مـــا توفر لهم جو هادئ ملؤه الحب والحنان والطمأنينة ، فإن نتيجـــة ذلـــك

النمو السليم ثم الإندماج بالمجتمع والتكيف معه. وإذا كان العكس فـــإن نموه سيكون مضطربا وبالتالي سيكون فاشلا ، وينعكس بالضرورة علـى سلوكه ، وعلى الرغم من ذلك فللأسرة وللمجتمع دور مهم كما أشـرنا سابقا وإذا حدث خلل فيهما أدى بالضرورة إلى جعل الطفل منحرفـا ، لكننا لا نستطيع الحكم عليه كذلك إلا بعد التحقق ومعرفة ، من هـــو هذا الطفل ؟ أو من هو هذا الحدث ؟ وما سنه ؟ ومـــا مقـــدار فهمـــه للسلوك ؟ وما هو طابع حياته ؟ وماذا فعل ؟ وكيف قام بهذا الســلوك ؟ والأهم من ذلك هو معرفة لماذا قام بهذا السلوك ؟

وبالإجابة على هذه الأسئلة يمكن معرفة أسباب هذا الإنحـــراف ، ومن الصعوبة بمكان معرفة تلك الأسباب الحقيقية لأننا نعيـــش في جـــو وبيئة صعبة المراس إذ يحيط بنا عالم يتربص بمجتمعاتنا الناميـــة والعربيـــة بصورة خاصة ويسعى إلى التأثير عليها بواسطة وسائل متعددة ، مســتغلا تخلفنا ليوهمنا ببعض الحاجات

النفسية والإجتماعية [9] هذا في علاقاتنا بالعالم الآخر أما ذاتيا فإن فقـدان الطفل للشعور بالمحبة والعاطفة تجعلانه يعيش في حرمان يـــؤدي بـــه في بعض الأحيان إلى الإنحراف ، ولهذا الإنحراف ، علاقة وطيدة بالحرمـــان لأنه سيعكس ذلك التفاعل بين المشكلة المتعددة الأبعاد النفسية والأسرية والإجتماعية ، هذا إذا أكدنا على أن الحرمان العاطفي يعد القوة الفاعلـة في الآلام المعنوية التي يعاني منها المحرومون ، وتساهم في دفعهم للســلوك الإنحرافي الذي يعود إلى أسباب عديدة كفقدان علاقة الطفـــل بـــأحد

الوالدين، أو بمن يحل محلهما مثلا من دور حضانة أو مؤسسات رعايـــة وغيرها.

وقد يتفاقم الأمر أو يتضاعف إذا كان المحروم صغـــيرا [10] بينمـــا يختلف الوضع عنه عند الراشدين.

لقد إزدادت المشاكل النفسية والإجتماعية للأطفـــال في عصرنـــا الحالي نتيجة معاناتهم من أمراض نفسية عديدة كالعصاب والإنفصـــام في الشخصية ، والإدمان على العقاقير وزيادة نســـبة الإجـــرام لأن هـــذه الظاهرة أصبحت من سمات العصر الحديث ، يضاف إليها أعراض أخرى تبدو واضحة المعالم ، كالقلق والخوف والإكتئاب ، والتي ولدت لديـــهم إزدواجية في الأخلاق ، فأصبحوا يعانون من تناقض صارخ بين قيمـــهم الأساسية من دينية وإجتماعية ، وغيرها - قيم قديمة / قيم جديدة.

وهذا يؤزم حالة الطفل فيجعله يسعى لمحاولـــة عقـــاب نفســـه ليستريح، فيقوم بإيذاء نفسه عضويا بعد أن قام بإيذائها نفسيا ، ويود لـــو أنه حطم الآخرين الذين يهددونه بالعقاب ، غير أنه لا يستطيع أن يقـــوم بذلك لأنهم أكبر

منه ويخاف منهم وبالتالي يقوم بعملية إسقاط فيؤلم نفسه إنتقامـــا منها بدلا منهم.

ويتأتى ذلك من خلال عوامل كثيرة إذ يتحول دوره ليكون أشـــد إرتباطا بخياله الذي يسبح في القصص الإجرامية والمشـــاهد العدوانيـــة المعروضة وأفلام العنف ، ويساعده في ذلك اللعب بلعب علـــى شـــكل

مسدسات وغيرها مما يجعل هذا التصور إلى حقيقة فتصبح نوعـــا مـــن الممارسة الحقيقية وإن كانت في الأصل مجرد لعب.

ويعتبر المختصون في غالبية العلوم الإجتماعية والتربوية أن هـــذه الألعاب هي جزء من التربية الثقافية للطفل ، وبالتالي يكتشفون الآثـــار النفسية والإجتماعية المسببة لها (لتلك اللعب) أو حسب المثال المســـاق فإن دولة السويد مثلا قررت عدم إنتاج العاب الحـــرب والمسدســـات للأطفال وحدت من إنتشارها عام 1979 بقرار ، بينما بدأ إنتشـــارها في بلداننا فترة وتضاعف هذا الإنتشار في السنوات الأخـــيرة ، خاصـــة في المناسبات المختلفة ، وحملات الدعاية له في وسائل الإعلام من صحافـــة مكتوبة ومقروءة وفيديو ومسجلات ومن تلفزة بقنوات مختلفـــة محليـــة وأجنبية ، وغيرها من وسائل الإتصال المتعددة التي جعلت العالم علـــى شكل قرية صغيرة بإمكاننا إكتشافها بواسطة زر صغير ونحن مســـتلقون على كرسي أو فراش وثير ، هذا مما يؤدي في النهاية إلى أن الطفل يصبح أداة لهذه اللعب وبالتالي لا تكون له إرادة بل يفتقدها ، لأنه ينســـاق إلى غيره وهذا ما أثر على أطفالنا وشبابنا نتيجة لأوضاعهم الســـيئة نفســـيا وإجتماعيا وماديا ، وبالتالي فهم يعيشون على الهامش ، وما ينطبق علـــى الأطفال ينطبق على الشباب ثم علـــى المجتمعـــات بنفـــس المســـتوى والدرجة[11].

الإنعكاسات الماديـــة

إن لنقص الإمكانيات المادية المختلفة أثر كبير على أطفالنا وشبابنا إذ بتوفير حاجات الأطفال ، الضرورية أيا كانت ، خصوصا منـــها مـــا

تحتاج إلى الإستفادة من كل موارد البلد الإقتصادية والثقافية ، لذلك فإن أول خطوة هي أن تكون موارد البلد ملك لأهلها ولا تستغل بواسطة بلاد أخرى أي إستعمارية ، ولذلك فإن للإستقلال الإقتصادي لبلداننا أهمية كبيرة من أجل تحقيق التنمية الحقيقية ، والقضاء على الجوع والمرض والجهل والتخلف ، لأن أي طفل لابد من أن يوفر له المجتمع الإمكانيات اللازمة التي تكفل له الصحة الجسدية والنفسية والتعليمية.

كما أننا إذا وجهنا سؤالا محددا لماذا يصير الطفل مجرما حدثا ؟ فإن الإجابة مباشرة إن سبب ذلك يعود إلى الجهل والفقر والإضطهاد ، أو إخوان السوء حيث المخدرات والخمور والخلافات العائلية ، ومعنى ذلك أن الإجرام ينمو حيث لا يجد الطفل فرصة لينمو نموا سليما.

ونحن في كل حالة من حالات جرم الأحداث نجد الطفل لا يعيش عيشة نافعة ترضاها نفسه ، ويعتبر إجرامه عادة علامة تدل على هذه الحقيقة ، وهو في هذا يريد أن يتكيف مع البيئة ويتعامل مع الناس للحصول على العطف والتقدير الذي هو في حاجة إليه ، إذ يلجأ إلى السبيل التي لا يوافق عليها المجتمع ويظهر في سلوكه محاولات لحل مشكلاته التي تسبب له إضطرابا ، وهذه ظاهرة لمرضه النفسي وإضطراب شخصيته.

كذلك هناك عوامل تساعد على الإجرام كالسرقة أو العقوبات البدنية التي يترلها الآباء بأبنائهم أو المدرسين ، إضافة إلى عدم فهم حياة الأطفال فهما سليما وكذلك نبذ الأولياء والمجتمع الذين لم يوفروا لهم حاجاتهم المتعددة ، خاصة المادية منها ، وبالتالي فإنه عندما يلجأ الطفل

إلى السلوك المنحرف يتعذر بالشعور على أنه بائس ولا يدري ماسبب شقائه ، ويعرف فقط أنه تألم وبالتالي فإنه يؤذي الآخرين وهذا إنتقاما للعداء والجفاء الذي يجري في هذه الدنيا ، التي حرمته من الود وفهم الناس له.[12]

خطورة الإنحراف وعلاجه

إذا حدث خلل في نمو الطفل من خلال مراحله الأولى وإذا عانى الكثير نتيجة الحرمان النفسي (العاطفي) والإجتماعي(الثقافي) والمادي (الإقتصادي) فإنه سيقوم بسلوك قد يكون سببا مباشرا إلى حياة الإجرام التي تدفع الأطفال إلى ذلك، وقد ركزت العديد من الدراسات الميدانية على ذلك ومنها :

الدراسة التي قام بها الباحث الأمريكي روبنقليد ROBINGLYD وأوردها في كتابه عام 1976 والذي ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان**Les garçons de la nuit** عام 1978والذي يبين فيه العوامل السلبية التي تدفع الاطفال والشباب إلى حياة الإجرام كالتالي :

أ- إنهماك الأباء في العمل دون إنقطاع وربما كان ذلك في أكثر من مهنة مما يشغلهم كل الوقت، فكانوا دائما مرهقين تعبين ، يرافق ذلك حالة من نشوء السكر وإنشغال الأمهات غالبا في مهنة تشغلهن بحيث يتركن مسؤولية العناية بالأطفال على إخوتهم الذين يكبرونهم ثلاث سنوات أو أربع.هذا ماذكر لنا الدكتور كاث S.C.G.U.T.H الأستاذ المساعد في التحليل النفسي ومدير مركز مكافحة الكحول ، إذ نشر تقريرا في هذا الموضوع بجريدة نيويورك تايمز.

ب- ويذكر صاحب التقرير أن ذكريات الآباء والأمهات الذين يقضون مساء 24/ ديسمبر في سكر ليست قليلة ، وبعد ليلة في هذا القبيل عادت إحدى الأمهات بعد مرافقة زوجها في ليلة سكر فأغلقت على نفسها وأطفالها الخمسة الذين لا يتجاوزون 10 سنوات باب المطبخ وفتحت أنبوب الغاز لتنتقل إلى حياة أنعم من هذه الحياة البائسة التعيسة.

وحادثة أخرى أيضا أن بنتا في الخامسة من عمرها تلقت أمرا من أحد والديها طبعا ، أن تجثو بركبتيها على حبوب يابسة منشورة على الأرض ، وحينما أغمي عليها من شدة الألم ضربت بوحشية بسوط من الجلد ، وما أكثر الأولاد الذين يؤدبون بالأسواط المتخذة من السلك المعدني الملفوف ، أو يضع الآباء المسدس على أصداغهم ، أو يقذف بهم قذفا على الجدران.

إن هذه القصص ليست نادرة هي حقيقة ، وربما أن هناك أمثلة لها في مجتمعاتنا لتوفر مسبباتها- وإنما تحكيها تقارير المصحات ويتحدث مؤلف الكتاب إستنادا إلى هذه التقارير عما ينطوي عليه الأولاد من تعطش للثأر يدفعهم إلى العنف وضروب الإجرام.

ج- وما يتصل بالسبب السابق هو السكر الشديد، العنف والقسوة والوحشية في معاملة الآباء لأولادهم ، فإن ذلك يولد الحقد عليهم وعلى المجتمع، وهذا الحقد يدفع إلى الإجرام والفساد.[13]

وقد توصل القضاة والمسؤولون عن إجرام الأحداث نتيجة تحرياتهم واستجواباتهم إلى شيوع حالة من فقدان الشعور بالإثم وإنعدام الضمير الأخلاقي ، فقد صرح أحد هؤلاء الشبان المجرمين أنه قتل 21

إنسانا وارتكب آلاف المخالفات والسرقات والحرائق المتعمدة وارتكب الفحشاء مع مالايقل عن ألف شخص ، ويقول أنه لا يشعر بوجود ضمير في نفسه ، وأنه لا يؤمن بالله ولا بالإنسان ولا بالشيطان وأنه يكره الجنس البشري ، بل يكره حتى نفسه.

نستطيع أن نخلص مما سبق الإستشهاد به من هذه الدراسات التي قام بها باحثون في الولايات المتحدة الأمريكية U. S. A. . أن هناك أسبابا قريبة مباشرة في مقدمتها ، تفكك الأسرة ، فقدان الجو التربوي منها ، إفتقار البيوت ممن يشرف عليها ، وعلى من فيها من الأطفال والناشئين ويرعى شؤونهم ، يضاف إليها السكر والمخدرات والإدمان عليها والقسوة في معاملة الأولاد دون شفقة، وهناك أسباب بعيدة جذرية ، وهي إنعدام الوازع الديني (الإيمان) والأخلاقي الذي مصدره مراقبة الله وحسابه ، وليس المصلحة والخوف والعقاب الإجتماعي، وإنعدام القيم الخلقية ذات الأثر العميق في النقس ، وهي قيم ليس منطلقها الأساسي الفكر وحده بل للإيمان كذلك والعقيدة الدينية وغيرها من القيم التي تكسب الطفل الراحة والإطمئنان دور هام فيها.(14)

خاتمـــة

وعموما فإنه يجب علاج السلوك الإنحرافي عند المجرم الحدث من خلال رؤى المختصين الذين يرون بأنه من واجبنا في البداية الكشف عن أسباب قيام الطفل بهذا السلوك ثم مساعدته بعد ذلك ليفهم ويتغلب على الدوافع التي تسبب له الإنحراف ، والإضطرابات النفسية.

ونلاحظ في العالم المتقدم وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا، كثيرا من الإصلاحيات التي تحاول أن تخلق للطفل جوا يساعده على

أن يصير عضوا نافعا في المجتمع فيهيئون له بيئة تشبه البيئة المترلية ، ويحاول من يعمل في هذه الإصلاحية أن يغمر الأطفال بالحب والعطف وهذا مهم جـــدا لهم،

ويحاولون مساعدته وإفهامه بأن الدنيا ليست ضده وإنما تعمل لصالحه ، كمـا يساعدونه أيضا لأن يكيف نفسه للحياة.

وكل هذه تعتبر مجهودات الأخصائيين في علم النفس والأخصـــائيين الإجتماعيين ، وبعد كل هذه المجهودات ، والتي تحاول مجتمعاتنـــا العربيـــة إستيراد نماذج منها لتطبيقها في مؤسسات إعادة التربية ببلادنا.

غير أنه بعد كل هذا الجهد لا يمكن الحكم على أن النجاح سـيحالفنا وهو مضمون لأن الطفل ربما يعود إلى المترل حيث لا يجد عطفا ولا حبـــا ، وبالتالي فهو يعود لسيرته وسلوكه الأول.

وعليه يود الذين يشرفون على هذه المصحـــات والمؤسســـات في أن يجمعوا آباء المجرمين الأحداث ليدلوهم على كيفية مساعدة أطفالهم.

وخير مايمكن هو أن نعمل بمساعدة الطفل في تقبل مشكلاته ، ونعيش معها لأنها لا يمكن أن تحل دائما، فالفقر وفرض الآباء قلقهم علـــى الأبنـــاء واضطرابهم ، وتمديد العالم بحرب عالمية ثالثة ، والجهل وعدم الحب ، كـــل هذه مشكلات تمهد الطريق للإجرام.

ومن الممكن أن نعمل كمدرسين وآبـــاء ومربـــين لإصـــلاح هـــذه المشكلات وهذا بتوفير الوسائل والإمكانيات المادية والبشرية لذلك ، لكـــي نصنع جيلا جديدا يعول عليه في المستقبل ، وهذا لا يتأتى إلا بتضافر جـــهود المؤسسات المختلفة وكذلك المختصين في مجالات العلوم التي تهتم بالإنسان في كامل جوانبه المتعددة المادية والمعنوية.

المراجـــع

[1]- محمد عاطف غيث :"المشاكل الإجتماعية والسلوك الإنحرافي" دار المعارف - الأسكندرية 1987- ص 96-97.

[2]- ناصر ثابت : المخدرات وظاهرة إستنشاق الغازات.دراسة إجتماعية إســـتطلاعية. ذات السلاسل-ط1-الكويت1984.

[3]- أنظر فاخر عاقل : معجم علم النفس- دار العلم للملايينط3. بيروت 1979.

[4]- شارلز وليوناردو : "لماذا ينحرف الأطفال"ترجمة محمد نسيم رأفت وعبد العزيز القوصي. مكتبة النهضة المصرية ط3 1960 ص67.

[5]- محمد مصطفى زيدان:" النمو النفسي للطفل والمراهق، ونظريات الشخصية"دار الشـــروق للنشر والتوزيع والطباعة ، جدة 1979 ص81-82ص

[6]- مصطفى سويف : "الأسس النفسية للتكامل الإجتماعي" دار المعارف بمصر. ط3 القاهرة - د.ت ص151-ص153

[7]- محمد مصطفى زيدان: "النمو النفسي للطفل والمراهق، ونظريات الشخصية" مرجع سابق ص255-256ص

[8]- نفس المرجع السابق ص257

[9]- شارلز وليوناردو: "لماذا ينحرف الأطفال" مرجع سابق ص15-ص16

[10]- مصطفى حجازي : الأحداث الجانحون- دراسة ميدانية نفسانية إجتماعية- دارالطليعة ، ط2 بيروت د-ت ص267-274ص

[11]-نوال السعداوي: الرجل والجنس المؤسسة العربية للدراســـات والنشـــر بـــيروت1976. وكذلك مقالة لها بعنوان البحث عن مشاكل الطفل المادية والنفسية.

[12]- 9- شارلز وليوناردو: مرجع سابق ص68-72ص.

[13]- محمد المبارك: "أثر وضع الأسرة الحقوقي والأخلاقي في حماية الطفل وانحرافه" محـــاضرة بملتقى الفكر الإسلامي الثالث عشر تمنغست الجزائر. وكذلك عن :

Seminaire de la pensée marxiste : (29 Janvier 1975) le fermes aujourdh'hui et demain. Editions sociales- Paris.

[14]- نفس المرجع السابق وكذلك من الترجمة الفرنسية ص121-128ص.

-------------------* جـــامعـــة عنـــابـــة

الفنون الشعبية الجزائرية
" واقع وآفتاق "

محمد عيلان

Résumé

Cet article aborde le théme des arts populaires Algériens dans le but de susciter de l'intérêt pour la connaissance et la vulgarisation de ces arts, car ce domaine souffre d'un manque de prise en charge par les investigateurs.

Par ailleurs, l'article se veut être une première lecture dans les composantes des arts populaires, leurs normes, leur influence, leurs types et modes d'expression.

Il vise de même à faire une approche de la relation entre arts populaires et arts académiques en essayant de définir les points de rencontre des deux types d'arts tout en insistant sur la nécessité de les considérer comme sources de connaissance pour la sociologie et le folklore.

يستهدف طرح هذا الموضوع أمرين أولهما : لفت الانتباه إلى مجال من مجالات المعرفة والتعريف به ألا وهو مجال الفنون الشعبية ، الذي قلت عناية الدارسين به . بالإضافة إلى كونه قراءة أولى في مكونات الفنون الشعبية وقواعدها وتأثيراتها وأنماطها وأشكال تعبيرها.

وثانيهما مقاربة العلاقة بين الفنون الشعبية والفنون المثقفة ، وتحديد مجالات التعانق بينهما من جهة ، ومن جهة أخرى الاهتمام بها كمصدر من مصادر المعرفة في علمي الاجتماع والفلكلور.

أنواع الفنون [1]

تقسم الفنون إلى ثلاثة أنواع باعتبار التطور البشـــري ومظـــاهر الحياة ، وهذه الفنون الثلاثة هي :

1 ــ الفنون البدائيـــة : وهي التي خلفها الأولون الذين ينتمـــون إلى عصور ضاربة في القدم ، وتمثل ألوانا من الفن التعبيري التي أثـــرت رسومات على صخور أو جدران أو في الكهوف أو أي أشكال أخـــرى لضرورات اجتماعية ودينية أو اقتصادية مختلفة ، وسواء توفرت عليـــها المتاحف ، أو الطبيعة وهذه المأثورات هي كل ما يمت إلى إنسان مـــاقبل التاريخ بصلة ، وهي فنون بدائية غير واضحة المعالم ، كل ما يقال فيـــها رجم بالغيب ، وقراءات تتعدل وتتغير كلما توفرت شواهد تكشف عـــن غامض في رؤيتنا لها وهي مجال علماء الأنثربولوجيا ، يقومون بدراســـتها واستخلاص أنماط الحياة ونظمها ومظاهرها منها .

2 – الفنون الشعبية : ونعني بها الفنون التقليدية الحية الجاريـــة في الاستعمال ، أي أنها جميع أنواع وأشكال الفنون والصناعات والحـــرف ، والأعمال التطبيقية والمهنية التي تمارس بيننا ، والفنون المكانية ، والفنـــون الزمنية التي لا ترتبط بزمن معين محدد ، كما تشمل الفنـــون التقليديـــة مختلف حاجات الإنسان اليومية من أدوات يبتكرهـــا ويبدعـــها لتلبيـــة ضروراته المادية والروحية الطقسية . وتستعمل الفنون التقليدية كوســـيلة من وسائل العيش والإنتاج ، وطريقة مـــن طرائـــق العمـــل والتفكـــير والشعور، وتساعد على إشباع الحاجات المادية والمعنوية للسيطرة علـــى البيئة [2].